الغلو في الدين وظاهرة التكفير

إعـــــداد

د / فوز بنت محمد أحمد الصالح

عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية

ووكيلة كلية العلوم والدراسات الإنسانية جامعة شقراء

ملخص بحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأزكى صلوات الله وسلامه على معلم الناس الخير وهادي البشرية إلى الرشد، وداعي الخلق إلى الحق، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور نبي الرحمة وإمام الهدى البشير النذير، والسراج المنير، صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود والحوض المورود، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الركع السجود... وبعد:

ترجع بذور الغلو في الدين إلى بعض العبّاد الجهلة الأوائل، وأصحاب الأهواء، والغوغائية وجهلة الأعراب والعجم، والموتورين وأهل النفاق والزندقة، وسبايا الأمم الذين لم يتفقهوا في الدين، وكان ضحيتهم بعض الغيورين، والمندفعين إلى التدين عاطفيا، من صغار السن (حدثاء الأسنان) كما وصفهم النبي الذين يقل فقههم للدين وتجربتهم في الحياة، ولم تنضج عقولهم، ولم يرجعوا إلى أهل الذكر والراسخين كما أمر الله وأمر رسوله ومن هذين الصنفين تكونت الخوارج الأولى الذين قاتلهم الصحابة بعد أن حاوروهم وجادلوهم، وبعد أن استحلوا الدماء وتكونت كذلك الشريعة وبذور التصور البدعي وقد أخبر النبي أنه سيخرج في أخر الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية وليس كل أصحاب الغلو من الخوارج فقد ظهرت مثل هذه الظواهر على مدار التاريخ وكان منها في العصر الحديث جماعة التكفير والهجرة.

تحتوي ورقة العمل على ما يلي:

- تمهيد: المصطلحات الواردة في العنوان.
- المبحث الأول: وسطية التشريع الإسلامي.

ويأتي في تمهيد ومسألتين: المسألة الأولى: في الوسطية في العقيدة.

المسألة الثانية: الوسطية في العبادة.

- المبحث الثاني: الأسس التي يرتكز عليها منهج التيسير في الإسلام، ويتحقق من

خلالها الغاية التي من أجلها منحت الأمة الإسلامية سمة " الوسطية " وتميزت عن غيرها من الأمم الغابرة والحاضرة بهذه المنحة الربانية.

- المبحث الثالث: ملامح الغلو.
- المبحث الرابع: الغلو في عهد النبي ﷺ.
- المبحث الخامس: أسباب الغلو ومنها:

المسألة الأولى: الأسباب العامة، ومنها:

- شيوع الظلم بشتى صوره.
- تدخل الكافرين وتحكمهم في شؤون البلاد ومصالحهم.
- محاربة التمسك بالدين والعمل بالسنن والتضييق على الصالحين والمتمسكين بالسنة.
- الجهل بالعلم الشرعي وقلة الفقه في الدين.
- الجفوة بين العلماء والشباب.
- ضعف العلم الشرعي وأخذ العلم على غير نهج سليم.
- التلقي عن دعاة السوء والفتنة والتعالي على العلماء واحتقار الآخرين.
- حداثة السن وقلة التجارب.
- شيوع المنكرات والفساد والظلم.
- قلة الصبر وضعف الحكمة في الدعوى لدى كثير من الشباب المتدين.

المسألة الثانية: أسباب ظهور الغلو ومظاهره في العصر الحديث:

- إعراض أكثر المسلمين عن دينهم وعقيدة وشريعة وأخلاقاً، إعراضاً لم يحدث مثله في تاريخ الإسلام.
- الخلل في مناهج الدعوات المعاصرة.
- قصر النظر وقلة الصبر وضعف الحكمة.

- تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام.
- التشدد في الدين والتنطع.
- فساد الإعلام.

الخاتمة وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد:

المبحث الأول: الوسطية في الإسلام:

- المطلب الأول: وسطية التشريع:
  - o الآيات الدالة على اليسر.
  - o الآيات الصريحة في رفع الحرج.
  - o الآيات المصرحة بأن الله لا يكلف العباد إلا بما في وسعهم.
  - o أحاديث التيسير والسماحة وعدم الغلو.
- المطلب الثاني: الوسطية في العقيدة.
- المطلب الثالث: الوسطية في العبادة.
  - o حقيقة العبادة في الإسلام.
  - o التفريط والإفراد في العبادة.
  - o منهج القرآن في العبادة.
- المطلب الرابع: الأسس التي يرتكز عليها منهج الوسطية في الإسلام.

المبحث الثاني: جذور الغلو في الدين.

المبحث الثالث: أسباب الغلو.

المبحث الرابع: ظاهرة التكفير.

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأزكى صلوات الله وسلامه على معلم الناس وهادي البشرية إلى الرشد، وداعي الخلق إلى الحق، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور نبي الرحمة وإمام الهدى البشري النذير، والسراج المنير، صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود والحوض المورود، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الركع السجود... وبعد:

لقد حث المصطفى ﷺ على أهمية طلب العلم وفضل حملته وما لهم من جزاء حيث قال عليه السلام (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة) [1]، بل بين أن العلماء هم الحاجز المنيع والحصن الحصين الذي يمنع الفساد والجهل والفوضى حيث قال ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) [2].

لذا اعتنى الصحابة بل تسابقوا إلى نقل العلم وحمله وتبليغه عن النبي ﷺ، فحملوه بصدق وأمانة وإخلاص، حيث نقلوا حتى أحواله الشخصية، وعلاقاته الزوجية للسير على نهجه، فطبق الصحابة رضي الله عنهم ما سمعوه وما رأوه من المصطفى ﷺ فنشأ مجتمع متحاب متعاطف متأخي، قوي متماسك متلاحم، امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [3]، فكونوا دولة جاهدت في الله حق جهاده، ونشرت

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح (١١٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ح (٣٦٤١) وابن ماجه في سننه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ح (٢٢٣)، والحاكم في المستدرك (١/١٦٥) ح (٢٩٩)، وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأحمد في مسنده ح ٨٣٤٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ح (٢٥٨٦).

الدعوة في أنحاء المعمورة.

ونتيجة لتساهل الناس بدينهم وأخذهم العلم من مشارب متنوعة فكرية ومنهجية، ومن أناس جهال، أو ممن تجاوز الحد في الغلو، وقع الناس في التناحر والاختلاف والفرقة، والبعد عن كتاب الله وسنة النبي ﷺ، فحل في مجتمعاتنا التناحر والتصادم وسفك الدماء وأفضى إلى اتهام المخالفين بالكفر مما يحل معه سفك الدماء وتدمير الممتلكات، وهذا ما أخبر به المصطفى ﷺ حيث قال: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة) [1].

ترجع بذور الغلو في الدين إلى بعض العبّاد الجهلة الأوائل، وأصحاب الأهواء والغوغائية وجهلة الأعراب والعجم، والموتورين وأهل النفاق والزندقة، وسبايا الأمم الذين لم يتفقهوا في الدين، وكان ضحيتهم بعض الغيورين والمندفعين إلى التدين عاطفياً، من صغار السن (حدثاء الأسنان) كما وصفهم النبي ﷺ الذين يقل فقههم للدين وتجربتهم في الحياة، ولم تنضج عقولهم، ولم يرجعوا إلى أهل الذكر والراسخين كما أمر الله وأمر رسوله وقد أخبر النبي أنه سيخرج في أخر الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، وقد قال تعالى فيمن يتأثر بهم ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ ﴾ وقال ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ ﴾ التوبة: ٤٧.

وليس كل أصحاب الغلو من الخوارج فقد ظهرت مثل هذه الظواهر على مدار التاريخ وكان منها في العصر الحديث جماعة التكفير والهجرة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح (٣٦١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، ح (١٠٦٤).

التمهيد

تأتي أهمية هذا الموضوع في زمن يتعرض فيه الإسلام إلى هجمة منظمة شرسة من قبل أعداء الإسلام، ومما زاد الطين بله أن المسلمين مع الأسف في صراعات وخلافات مذهبية فكل باسط ذراعيه يدعي أنه هو صاحب الحق، وكل يرى نفسه المحق وأن الجنة له ولأصحابه، وأن البقية هم وقود النار محتجين بقوله ﷺ: (تفرقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن من يقول إن كل من الثنتين والسبعين فرقة يكفر كفراً ينقل عن الملة، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغيرهم، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين والسبعين فرقة [2].

وقال أيضاً (الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم أي الخوارج، ولا جعلوهم مرتدين، ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل، بل اتقوا الله فيهم، وساروا فيهم السيرة العادلة، وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة والمعتزلة وغيرهم فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وليس قوله (ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ح ٨٣٩٦، وابن ماجه في سننه، ح ٣٩٩١، وأبو داود في سننه، ح ٤٥٩٦، والترمذي في سننه، ٢٦٤٠، وابن أبي عاصم، ح ٦٧، وأبو يعلى، ح ٥٩١٠، وابن حبان في صحيحه ح ٦٢٤٧، أما قوله: (كلها في النار إلا فرقة واحدة) فهذه الزيادة مطعون في صحتها حيث كلها ضعيفة، والطرق الأخرى لا يفرح بها لما في أسانيدها من وهن شديد، بل قال ابن حزم أن هذه الزيادة موضوعة، ينظر: العواصم من القواصم (١٧٠/٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ٢١٨).

بأعظم من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ النساء: ١٠، وقوله: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا ﴾ سورة النساء: ٣٠.

وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار ومع هذا فلا نشهد لمعين في النار... لامكان أنه قد تاب، أو كانت له حسنات محت سيئاته أو كفر الله عنه بمصائب) [1]، قال الإمام الخطابي: قوله ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين إذ قد جعلهم النبي ﷺ كلهم من أمته، وفيه أن المتأول لا يخرج عن الملة وإن أخطأ في تأويله [2]، لكن لا ينبغي أن نعبأ بهذا التمزق والتفرق فسيظل الحق أبلج وكلمة الله هي العليا ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ الإسراء: ٨١، وقال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ الأنبياء: ١٨.

إننا وبدافع من ديننا ندعو إلى الإفادة من إيجابيات الحضارة المعاصرة وإنماءها والتوسع فيها إلى أقصى جهد، وأبعد حد، وفق الضوابط الشرعية واستبعاد السلبيات التي تخالف ما لدينا من أخلاق وقيم ومثاليات، وما يسيء إلى كرامة الإنسان، وينشر في الأرض الفساد وهذا ما يحدده لنا كتاب ربنا الذي ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٢، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٩، وسنة نبينا في غير لبس أو غموض قال ﷺ: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي).

(١) مناهج السنة (٥ / ٢٤٩).

(٢) معالم السنن (٤ / ٢٩٥).

إن حقائق الدين وهي محفوظة في كتاب وسنة يخاطب بها الإنسان حيث كان في أي زمان أو مكان، وهي لا تدرك بالأماني وإنما بالجد والكد والصدق والمثابرة، وبالأخذ بالصبر، والأخذ بالأسباب في شتى المجالات، فإن الإيمان حركة حياة لا تواكل، ولا يأس، ولا قنوط، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ يوسف: ٨٧، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ. وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الزمر: ٦٠ – ٦١.

ولابد لاستيعاب حقائق الدين من فقه التدين وإذا ضاق الفهم لما يدعو إليه الدين وما ينشده من رحمة للعالمين قصرت الجهود عن الوفاء بهذا الدين، ولابد لتقديم حقائق الدين من أسلوب عملي، ونمط حضاري تعلو به قيمة العلم، وتسمو مكانة العلماء ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ١٨، وهذا ما تميزت به أمة الخير ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ فكانت للإنسانية كلها قوة عدل وأمن، انتصرت بفضلها ومحاسن أخلاقها، قبل أن تغلب بقوتها.

ونحن نعلم أن الأمة الإسلامية مرت عليها فترات ركود وغطت في سبات عميق يراها من يعاديها مواتاً ويرون أنها كلأ مباحاً، إلا أن لها من مقوماتها ما يبعث فيها الحركة ويجدد الحياة ولم يعرف التاريخ أن أمتاً انتصرت في أي معركة بغير الثابت من خصائصها، وبه واجهت التحديات واجتازت العوائق فكانت هذه الخصائص دائماً هي الوسائل في استنهاض الهمم للأخذ بأسباب النصر في كل عصر ومصر، ومن رحمة الله بنا أن حفظ لنا ما به نزن جميع أمرنا ونصحح مسارنا وأخطاءنا، ونعالج واقعنا لنهدي في كل شأننا إلى التي هي أقوم، وهو ثابت لا يتغير محفوظ بحفظ الله لا يتبدل، وأمتنا بخير دائماً إن هي

أحسنت كيف تحيي بثابت من حقائق الدين في متغير من وثبات المدنية، الثابت بحفظ شخصيتها ويبقى عليها ممتدة مع الزمن كله، ويجعلها تصمد أمام المخاطر والمغريات، فننهض بمسئوليتنا على نور من هدي ربنا وما صح من سنة نبينا في جميع أمورنا، ونأخذ بالأسباب في شتى المجالات فإن التفريط في الأخذ بالأسباب معصية كما أن الركون إلى الأسباب دون التوكل على الله مفسدة، وذلك يستوجب القوة والنشاط في جميع مجالات الحياة.

إن نهضة الأمم أو تخلفها يخضع لسنن لا تتبدل ولا تتحول قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن والٍ ﴾ الرعد: ١١، فلنأخذ بأسباب النهضة والارتقاء، ونتقي أسباب التردي والسقوط ومنها الفرقة والتنازع، واتباع الأهواء والشهوات، ولنحذر ونحن نأخذ بأسباب النهوض أن نجعل من تراكم المشكلات والقضايا سبباً للتشكيك في مستقبلنا فإن للعالم كله مشكلاته وقضاياه، وحمل المسلمين على القنوط والقعود عن واجبهم أمر تتضافر عليه جهود أعداءهم ويتعاونون عليه ولو تخاصموا فيما بينهم، فلنثق في أنفسنا ونعمل على إصلاح ذات البين، ورأب الصدع، ورتق الفتق، والقضاء على النزاع والخصومة، ولنوحد صفوفنا ونلتقي على كلمة سواء بيننا ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعض أرباباً من دون الله.

المسألة الأولى: المصطلحات الواردة في العنوان:

أولاً: تعريف الغلو في اللغة والاصطلاح: الغلو لغة: تجاوز الحد، قال ابن الأثير: هو التشدد ومجاوزة الحد، وقيل البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها، والغلو أصح صحيح، وغلا في الأمر يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، وغلا الرجل غلواً إذا جاوز حده، وتغالى الرجلان: تفاعلا من ذلك، وكل مرماة عند ذلك

غلوة [1].

وفي الاصطلاح: مجاوزة الحد وذلك بالزيادة في الشيء على ما يستحق وضابطه تعدي ما أمر الله به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الغلو مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق [2]، وقال ابن القيم: فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصير عن الحد وهذا بتجاوز الحد) [3] وقال ابن حجر العسقلاني: هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد) [4]، وقال الحسن البصري: سننكم والله الذي لا إله إلا هو بينهما: بين الغالي والجافي) [5]، وقد قرر العلماء أن الحق واسطة بين التفريط والإفراط [6] فتأدية العبادة على الوجه الأكمل لا يعد من الغلو، بل الأثقال على النفس إلى درجة الملل هو الغلو. إذن ضابط الغلو هو تعدي ما أمر الله به وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [7].

والغلو في الدين آفة قديمة ابتليت بها الأمم من قبلنا كما بليت بها هذه الأمة منذ فجر الإسلام.

(١) مقاييس اللغة، الصحاح للجوهري، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مادة غلا.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٢٨٩).
(٣) مدارج السالكين (٢ / ٥١٧).
(٤) فتح الباري (١٣ / ٢٧٨).
(٥) سنن الدارمي (١ / ٦٣).
(٦) ينظر: المحجة في سير الدوجة ص١٨، الغلو في الدين للدكتور عبد الرحمن اللويحق، ص٨٢.
(٧) سورة طه آية: ٨١.

ألفاظ تدل على الغلو: ورد الغلو في السنة النبوية بألفاظ متعددة منها:

١- الغلو، قال عليه الصلاة والسلام (إياكم والغلو فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا الدماء واستحلوا المحارم) [1].

٢- التنطع، قال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (هلك المتنطعون..)[2]، والمتنطعون هم: المتعمقون، الغالون، المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم [3].

٣- التعمق: ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: (إن أقواماً يتعمقون في الدين يمرقون كما يمرق السهم من الرمية) [4].

٤- الرهبانية: قال ﷺ (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا، فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) [5].

(١) أخرجه أحمد في مسنده، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الحج، باب التقاط الحصى، ح (٤٠٦٣)، وابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، ح (٣٠٢٩)، والحاكم في المستدرك، ح (١٧١١)، قال الشيخ الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ح (٢٦٧٠).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم – ج ١٦ ص ٢٢٠.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده ح ١٢٦٣٦، والمقدسي في الأحاديث المختارة، ح ١٨٩٣، وسعيد بن منصور في سننه (٢ / ٣٧٥) ح ٢٩٠٥.
(٥) أخرجه أبي داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الحسد، ح ٤٩٠٤، وأبو يعلي في مسنده ح ٣٦٩٤، والمقدسي في الأحاديث المختارة، ح ٢١٧٨، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٢/١): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن أبي العمياء وهو ثقة، وللحديث شاهد عن سهل بن حنيف بنحوه، أخرجه البخاري في الكبير (٤ / ٩٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٣/٦) ح ٥٥٥١، والبيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٤٠١)، ح ٣٨٨٤.

٥- التشدد، ومنه قوله ﷺ (إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وابشروا واستعينوا بالغدوة والرواح وشيء من الدلجة) [١].

٦- التعسير والتنفير، ومنه وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن حيث قال: (يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا) [٢].

تعريف الدين: قال ابن منظور: " الدين: الجزاء والمكافأة.. وقيل الدين الطاعة والجمع أديان، والدين الإسلام، والعادة والشأن " وقال ابن فارس: أصل واحد إليه ترجع فروعه كلها وهو من الانقياد والذل، فالدين الطاعة يقال: قوم دين أي مطيعون منقادون"[٣].

ويعرف الدين بأنه وضعي إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى الخير والصلاح والفلاح " [٤].

المسألة الثانية: أنواع الغلو:

يمكن تقسيم الغلو إلى نوعين وذلك حسب أفعال العباد:

* **الغلو الكلي الاعتقادي:** هو المتعلق بكليات الشريعة الإسلامية وأساسه التعلق بالعقائد، وهو أساس الأعمال مثل: الغلو في الولاء والبراء، كالغلو في البراءة من المجتمع العاصي، وتكفير أفراده واعتزالهم، وهو الأخطر إذ يؤدي إلى التناحر والتصادم والانشقاق والاختلاف، فقد أدى غلو الخوارج في كليات الشريعة إلى التفرق والاختلاف.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الدين يسر، ح ٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاف، ح (٣٠٣٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، ح (١٧٣٣).

(٣) لسان العرب، معجم مقاييس اللغة، مادة دين.

(٤) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٤٤٣، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د / محمد دراز ص٢٣.

* **الغلو الجزئي العملي:** وهو المتعلق بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة الإسلامية، والعملي هو المتعلق بالأفعال والأعمال سواء كان قولاً باللسان أم عملاً بالجوارح.

المبحث الأول: الوسطية في الإسلام

التشريع لفظ مأخوذ من الشريعة التي من معانيها عند العرب: الطريقة المستقيمة، والتي أطلقها المسلمون على الأحكام التي سنها الله لعباده على لسان رسوله، ليعملوا بها عن إيمان، سواء أكانت متعلقة بالأفعال أم بالعقائد أم بالأخلاق، ومن الشريعة الإسلامية بهذا المعنى اشتق شرَّع بمعنى أنشا الشريعة وسن قواعدها.

فالتشريع بناء على هذا هو سن القوانين، سواء أكانت آتية عن طريق الأديان، ويسمى تشريعاً سماوياً، أم كانت من وضع البشر وتفكيرهم، ويسمى تشريعاً وضعياً والوضعي له اصطلاحان: الأول: مقابل للقوانين الإلهية المستنبطة من الكتاب والسنة بالنص والإجماع، والثاني: القائم على الاجتهاد كالقياس والمصالح المرسلة، والاستحسان، وغيره فالوضعي الذي له أصل من كتاب وسنة وإجماع مذموم وإن كان قائماً على الاستقراء والاستنباط واستخراج العلل والمقاصد فهو مطلوب بل واجب.

ولقد وصف الله تعالى الأمة الإسلامية بأنها أمة " وسط " في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [1].

فالآية تحمل أربعة معان: التوسط، الثاني: العدول والقائمة بالقسط، والثالث: الخيرية، والرابعة: الشهادة على الأمم.

ومعنى الأمة الوسط أنها أفضل الأمم وأعدلها وأكملها وأبعدها عن الغلو، فمثل هذه الأمة تحميها وسطيتها مما يلحق بغيرها – إذا جانبت الوسطية – من النقائص والعيوب من جميع النواحي [2].

يقول الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: " إن الله تبارك وتعالى إنما

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) أصول المجتمع الإسلامي – د / جمال الدين محمود – ص ١٧١.

وصفهم بأنهم وسط، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى أنه ابن الله، ولا هم أهل تقصير فيه، كتقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكن المسلمين أهل توسط واعتدال، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها " [1].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: " قالوا: إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك لأن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة فهو شر ومذموم فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر المتوسط بينهما... وأما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها في دينها بين الحقين: حق الروح، وحق الجسد، فهي روحانية جسمانية، وإن شئت قلت إنه أعطاها جميع حقوق الإنسانية، فإن الإنسان جسم وروح... " [2].

وقد ميز الله تعالى الأمة الإسلامية بهذه الوسطية، وجعل لها الصدارة بين الأمم، لتقيم بينهم العدل، وتضع لهم الموازين القسط، وتحدد لهم قواعد السلوك السوي، ثم تكون شاهدة على الأمم قبلها، ويكون الرسول ﷺ شهيداً عليها.

ومما لا ريب فيه أن الدين الإسلامي قائم على السماحة واليسر – ورفع الحرج والمشقة في جميع أحكامه، سواء ما تعلق منها بالعقيدة، أو العبادات، أو المعاملات، بشكل يتوافق مع الفطرة الإنسانية وتتقبله النفس البشرية من غير تكلف أو تعنت [3].

والسماحة هي وصف عام لما عليه أحكام الشريعة الإسلامية من اليسر، والسهولة، واللين والسعة، ورفع الحرج والمشقة. وقد عرفها البعض بأنها: السهولة المحمودة فيما يظن

(١) تفسير الطبري – ج ٣ ص ٦٢٦، ٦٢٧.

(٢) تفسير المنار – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٧٢ م – ج ٢ ص ٤، ٥.

(٣) اليسر والسماحة في الإسلام – د / فالح بن محمد الصغير – ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر " موقف الإسلام من الإرهاب " المنعقد بالرياض في المدة من ١-٣ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ – ص١٩٩ (بتصرف).

الناس التشديد فيه، ومعنى كونها محمودة أنها لا تفضي – إلى ضرر أو فساد [1].

لكن ليس معنى السماحة واليسر في الدين ترك العمل والتكاسل عن الطاعات والعبادات، كما أنه ليس معنى التشديد فيه الأخذ بالأكمل فيها، بل المراد الالتزام بالتوسط فيها، بلا إفراط ولا تفريط.

فهذا هو المنهج الوسط، وهو صراط الله المستقيم ن فلا ميل إلى جانب الإفراط والتعمق والتشديد، على النفس وعلى الآخرين، ولا إلى جانب التيسير والتساهل الذي يصل إلى حد التهاون أو التحلل والانسلاخ من الأحكام [2].

لقد حفل القرآن الكريم والسنة النبوية بالعديد من الآيات التي يمكن الاستدلال بها على سماحة الإسلام ويسره، ويمكن تقسيمها إلى أربع مطالب على النحو التالي [3]:

المطلب الأول: الآيات الدالة على اليسر والتخفيف عن الأمة الإسلامية – ومنها:

أ- قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ... ﴾[4].

هذه الآية وإن نزلت في شأن الرخص في الصيام، إلا أنها تعتبر عامة في كل شيء، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما هو مقرر عند أهل العلم.

ب- قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [5]. وذلك

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – دار النفائس بالأردن – ط٢ سنة ١٤٢١ هـ – ص ٢٦٩.

(٢) مفهوم السماحة واليسر في الكتاب والسنة – د / ناصر بن عبد الله الميمان – ضمن البحوث المقدمة في ندوة " أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطة ودفع الغلو " مكة المكرمة في ١٤٢٤/٨/١١ هـ – ص٧٦.

(٣) مفهوم السماحة واليسر في الكتاب والسنة – للميمان – ص٧٨ وما بعدها (بتصرف).

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٥) سورة النساء، آية: ٢٨.

عام في جميع أحكام الشرع [1].

ج- قوله تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴾ [2]، أي نسهل عليك يا محمد أعمال الخير، ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً [3].

المطلب الثاني: الآيات الصريحة في رفع الحرج والعنت:

أ- قوله تعالى: ﴿... مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ.. الآية ﴾ [4] أي من ضيق ومشقة، والحرج المنفي هنا هو كل ما فيه عنت ومشقة، لأنها نكرة في سياق النفي، ثم أكد هذا العموم بدخول حرف " مِنْ " عليها.

ب- قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [5]، قال الجصاص: لما كان الحرج هو الضيق، ونفى الله عن نفسه إرادة الحرج بنا، ساغ الاستدلال بظاهره في نفي الضيق وإثبات التوسعة في كل ما اختلف فيه [6].

المطلب الثالث: الآيات المصرحة بأن الله لا يكلف العباد إلا بما في وسعهم:

أ- قوله تعالى: ﴿ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [7].

ب- قوله تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [8].

والوسع: هو ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، أي لا يكلفها إلا ما تتسع له طاقتها،

(١) تفسير الرازي – ج ١٠ ص٧٠، تفسير ابن كثير – ج ١ ص ٤٩٠.

(٢) سورة الأعلى، آية: ٨.

(٣) تفسير ابن كثير – ج ٤ ص ٥٣٥.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٦) أحكام القرآن – ج ٣ ص ٣٩١.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٨) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

ويتيسر عليها [1].

وقد قرر الفقهاء أن ما عجز عن أدائه سقط وجوبه، كما صرح شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في غير موضع من كتبه بأن: الواجبات كلها تسقط بالعجز عن أدائها [2].

المطلب الرابع: السنة النبوية:

لقد فاضت السنة النبوية المطهرة بالكثير من الأحاديث التي تبين سماحة هذا الدين، وتدعو إلى التيسير والتخفيف، وتنهى عن التشدد والغلو في الدين سبق ذكر بعض منها:

١- عن جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعاً: " إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً وميسراً " [3].

٢- وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: " لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة " [4].

٣- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: " ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس منه... " الحديث[5].

٤- عن ابن مسعود ﷺ قال: " والله الذي لا إله غيره ما رأيت أحداً كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ، وما رأيت أحداً أشد عليهم بعده من أبي بكر، وإني

(١) تفسير الكشاف للزمخشري – ج ١ ص ١٧٢.

(٢) القواعد والضوابط الفقهية – ص٢٦٨، مجموع الفتاوى – ج ٢٦ ص٢٠٣، ٢٤٣.

(٣) أخرجه مسلم – كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ح (١٤٧٨).

(٤) أخرجه أحمد ح (٢٣٧١٠).

(٥) المرجع السابق – ح (٥٧٧٥)، مسلم في كتاب الفضائل ح (٢٣٧٢).

لأظن عمر ﷺ كان أشد أهل الأرض خوفاً عليهم أو لهم " [1].

٥- عن سهل بن سعد ﷺ مرفوعاً: " لا تشددوا على أنفسكم، فإنما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم، وستجدون بقاياهم في الصوامع والديارات " [2].

ويقول الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى: " نهى النبي ﷺ عن التشديد في الدين، وذلك بالزيادة على المشروع – وأخبر أن تشدد العبد على نفسه هو السبب في تشديد الله عليه، إما بالقدر وإما بالشرع... فالفقه كل الفقه الاقتصاد في الدين والاعتصام بالسنة"[3].

مما سبق يتضح [4]:

أولاً: أن السماحة واليسر – ورفع الحرج من أكبر مقاصد الشريعة الإسلامية، وفي ذلك يقول الإمام العز بن عبد السلام – رحمه الله: " التيسير ورفع الحرج أصل عظيم في الدين، وركن من أركان شريعة المسلمين، شرفنا الله – سبحانه وتعالى – به، فلم يحملنا إصراً ولا كلفنا في مشقة أمراً " [5].

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور – رحمه الله: " استقراء الشريعة دل على أن السماحة واليسر – من مقاصد الدين " [6].

(١) أخرجه الدارمي في سننه ج ١ ص٦٥ ح (١٣٨)، وأبو يعلى في مسنده – ج٨ ص٤٣٧، والطبراني في الكبير – ج١٠ ص ١٧٤.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط – ج٣ ص٢٥٨، والكبير – ج٦ ص٧٣، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب الحسد بلفظ: لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم على الصوامع والديار.

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج ١ ص١٣٢.

(٤) مفهوم السماحة واليسر في الكتاب والسنة وأدلتها للميمان – ص٩٣ وما بعدها (بتصرف).

(٥) مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام – أ / عمر بن صالح – ص١٢٨.

(٦) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور – ص٢٧٠.

ثانياً: أن اليسر والسماحة من أهم سمات الدين الإسلامي، وذلك لعدة أسباب منها:

١- أن الله سبحانه وتعالى أرادها عامة للناس كافة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فاقتضى ذلك أن يجعل الله فيها من اليسر والسماحة والتخفيف ما يلائم اختلاف الناس وطبائعهم، في مختلف الأزمان وتباين البقاع [١].

٢- أن اليسر والسماحة كان لهما أثر عظيم في انتشار الإسلام، وتقبل الناس له على مر العصور، وقد فطرت النفوس على حب اليسر والرفق والسماحة، والنفور من الشدة والعنت.

٣- أن الأمة الإسلامية أمة وسط في جميع المجالات، وعلى ذلك فإن من نعمة الله تعالى على هذه الأمة أن جعل دينها وشريعتها حنيفية سمحة، فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل [٢].

ثالثاً: أن السماحة واليسر ورفع الحرج تشمل جميع أعمال المكلف، الدينية منها والدنيوية، ما لم يخالف حكماً شرعياً. فليس للمسلم أن يشدد على نفسه بما لا يحتمله من العبادة، ولا أن يضيق على نفسه في أمور الدنيا بزعم التقرب إلى الله تعالى بذلك، فليس التضييق على النفس في الحلال من القربة إلى الله تعالى والزهد، لأن وجهة الإسلام العامة هي التيسير، فمن يبغي الشدة والتعنت إنما يعاند روح الإسلام [٣].

رابعاً: إن الأمر بالسماحة والتيسير يشمل جميع المكلفين، كل في مجاله: فالإمام في

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي – ص٧٦، العبادة في الإسلام – د / يوسف القرضاوي ص١٨٨، مفهوم السماحة واليسر في الكتاب والسنة وأدلتها للميمان – ص٩٤.

(٢) العبادة في الإسلام – ص١٨٨، مفهوم السماحة واليسر في الكتاب والسنة للميمان – ص٩٠.

(٣) الموافقات للشاطبي – ج ١ ص٣٤١، العبادة في الإسلام، ص١٨٨، وسطية الإسلام في سماحة الدين وتسامحه، أ. د / محمد بن أحمد الصالح.

المسجد مأمور بتخفيف الصلاة مراعاة لظروف وأحوال من وراءه من المأمومين، لقول النبي ﷺ: " إذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير والكبير، والضعيف والمريض، وإذا صلى وحده فليصل كيف شاء " [١].

والمعلمون والمربون مطالبون بالتيسير والرفق بالمتعلمين، فينبغي أن يرفقوا بهم ويأخذوهم باللين واللطف، لا بالشدة والعنف الذي يصرفهم عن العلم، فهذا نبي الله موسى – عليه السلام – وهو في مقام المتعلم من الخضر – عليه السلام – ﴿ قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [٢].

وكذلك الدعاة ينبغي لهم أن يتحلوا بالرفق واللين والسماحة حتى تعطي دعوتهم ثمارها المرجوة، وفي ذلك يقول تعالى مخاطباً المصطفى ﷺ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [٣].

كما يجب على الأمراء والولاة والحكام، وكل من تولى شيئاً من أمور المسلمين أن ييسر عليهم ويرفق بهم، فقد قال النبي ﷺ " اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فأشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به " [٤].

والمفتون كذلك ليس لهم أن يفتوا بما فيه حرج ومشقة على المستفتي، مادام يجد له مخرجاً شرعياً صحيحاً – وهكذا باقي فئات المجتمع [٥].

(١) أخرجه البخاري كتاب الآذان باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء: (٦٦٢)، ومسلم كتاب الصلاة باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة ح (٧١٤) واللفظ لمسلم.

(٢) سورة الكهف، آية: ٧٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) أخرجه مسلم – كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ح (١٨٢٧).

(٥) مفهوم السماحة واليسر في الكتاب والسنة وأدلتها للميمان – ص ٩٨.

ولما كان الإسلام خاتم الشرائع وأعمها وأشملها لأحكام الدين والدنيا، فقد جاء متناولاً كل ما يتعلق بالعقيدة، والعبادات، والأخلاق ومعاملات الناس [1]، وقد تميزت جميعها بالوسطية، وفيما يلي نتناول هذه الأمور في المطالب التالية:

المطلب الثاني: الوسطية في العقيدة:

العقيدة الإسلامية هي: عقيدة التوحيد. ولا ريب أن الدعوة إلى توحيد الله تعالى هي أساس الرسالات السماوية وعمودها الفقري، وهو القاسم المشترك بينها، وإن اختلفت بعد ذلك الشرائع والمناهج، فما من نبي أرسل ولا كتاب أنزل إلا وكان أول ما يدعو إليه هو توحيد الله تبارك وتعالى [2].

يقول الله عز وجل في تقرير هذه الحقيقة: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [3]. وفي آية أخرى يقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [4].

وكان كل رسول يدعو قومه إلى عبادة الله وحده، فيقول لهم: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ [5]، ابتداء من أولهم نوح عليه السلام، وانتهاء بخاتمهم نبينا محمد ﷺ.

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام دينهم واحد، كما قال المصطفى ﷺ: " أنا أولى

(١) المدخل للفقه الإسلامي – للدكتور / محمد سلام مدكور – دار النهضة العربية بالقاهرة – ط ٣ سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م – ص ٩، ١٠ (بتصرف).

(٢) الوسطية في القرآن الكريم للصلابي – ص٢٦٥.

(٣) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٢٣، وسورة الأعراف، الآيات: ٦٥، ٧٣، ٨٥.

الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد " [1]، قال الحافظ ابن حجر: (ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحدة وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع...) [2].

وهذا يدل على أن أصل دعوة الأنبياء واحدة وهي الدعوة لتوحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، وعلى هذا مضى رسل الله والمسلمون من أممهم، ولكن قومهم غيروا وبدلوا بعدهم، وحرفوا وأدخلوا في دين الله ما لم يأذن به الله، وشمل التحريف والتبديل أساس دعوة الرسل، وهو التوحيد.

لقد غلب على اليهود التقصير والتفريط والجفاء، وإن كان لديهم بعض الغلو والإفراط، والنصارى غلب عليهم الغلو والإفراط، وإن كان وقع منهم تفريط وتقصير في جوانب.

أما المسلمون فقد اتبعوا الرسل، وهدوا لأقوم السبل، فكان قولهم هدى بين ضلالتين، وحقاً بين باطلين.

المطلب الثالث: الوسطية في العبادة

العبادة والعبودية – في اللغة – تعني: الطاعة، وأصل العبودية: الخضوع والتذلل، والتعبد: التذلل، والتعبيد: التذليل. يقال: طريق معبد أي مسلوك مذلل [3].

أما معنى العبادة في الشرع فهي: الخضوع والحب، والعبادة المأمور بها العبد تتضمن معنى الذل والخضوع لله ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له [4].

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وأذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، ح (٣١٨٧).

(٢) فتح الباري – ج ٦ ص٤٨٩.

(٣) القاموس المحيط: باب الدال فصل العين، لسان العرب: فصل العين باب الدال.

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية – ج١ ص ٢٠٧.

ويؤكد ذلك ابن القيم – رحمه الله – بقوله: " العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع " [1].

والعبادة تنظم أعمال الإنسان كلها، وهي تقوم على أسس ثلاث: المحبة والخوف والرجاء، وقد جعل ابن القيم – رحمه الله – هذه الثلاث في قلب المؤمن " بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان أو أحدهما فهو عرضة لكل صائد وكاسر " [2].

وفيما يأتي نوضح حقيقة العبادة في الإسلام، ثم نتناول التفريط والإفراط في العبادة، ثم نبين منهج القرآن في العبادة:

أولاً: حقيقة العبادة في الإسلام:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [3]، أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم، وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – إلا ليعبدون: أي ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً. وقال ابن جريح: إلا ليعرفون [4].

لقد سادت بين الناس مفاهيم خاطئة للعبادة، صرفت عقولهم وقلوبهم عن هذه الوظيفة التشريعية التي خلق الله الإنسان منأجلها، وسخر له كل شيء في الكون، ليقوم بها وفق أمر خالقه، وعند تأمل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من أخبار وأوامر ونواهي ووعد ووعيد، نجدها تدور حول تقرير ألوهية الله سبحانه وتعالى وعبودية الإنسان له.

ومما لا ريب فيه أن دائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان، وجعلها غايته في الحياة،

(١) مدارج السالكين – ج ١ ص ٧٤.

(٢) المرجع السابق – ج ١ ص ٥١٧.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٤) تفسير ابن كثير – ج ٤ ص ٢٣٨.

ومهمته في الأرض، دائرة رحبة واسعة، فهي تشمل شؤون الإنسان كلها، وتستوعب أمور حياته جميعاً، وتستغرق كافة مناشطه وأعماله [1].

وقد لخص هذا المعنى الشامل للعبادة وحدد ماهيتها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حين قال: " العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار، واليتيم والمسكين، وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله " [2].

وبهذا التعريف الجامع لا يمكن أن يخرج أي شيء من نشاطات الإنسان وأعماله، سواء كان ذلك في العبادات المحضة، أو في المعاملات المشروعة، أو في العادات التي طبع الإنسان على فعلها [3].

على أنه ينبغي التنبيه هنا إلى أن الأصل في العبادات أنها توقيفية فلا يعبد الله إلا بما شرع، والأصل في المعاملات الإباحة إلا ما قام الدليل على المنع منها.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – " إن تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يصلح بها دينهم، وعادات يحتاجون إليها في دنياهم،

(١) العبادة في الإسلام – للدكتور / يوسف القرضاوي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط ١٢ سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م – ص ٥٣ (بتصرف).

(٢) مجموع الفتاوى – ج ١ ص ١٥٠.

(٣) الوسطية في القرآن الكريم للصلابي – ص٥١٢.

فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله، أو أحبها، لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع.

وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه، والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله، والعبادة لابد أن يكون مأموراً بها، فما لم يثبت أنه مأمور به، كيف يحكم عليه بأنه عبادة ؟! وما لم يثبت من العبادات أنه منهي عنه، كيف يحكم عليه أنه محظور ؟ والعادات الأصل فيها العفو، فلا يحظر منها إلا ما حرم " [1].

والدليل على المفهوم الشامل للعبادة: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [2]، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾ [3].

وقال النبي ﷺ: " كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها، أو ترفع له متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة، ودلالة الطريق صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة " [4].

وعن أبي ذر جندب بن جنادة ﷺ قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال: " الإيمان بالله، والجهاد في سبيله ".... قلت: فإن لم أفعل ؟ قال: " تعين صانعاً، أو

(١) مجموع الفتاوى – ج٢٩ ص ١١٦، ١١٧.

(٢) سورة الأنعام الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

(٣) سورة البنية، الآية: ٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب الردف على الحمار، ح (٢٨٢٧)، ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع ح (١٦٧٧).

تصنع لأخرق "، قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال: " تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك " [1]، وقال النبي ﷺ: " لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق " [2].

ثانياً: التفريط والإفراط في العبادة:

يراد بالتفريط في العبادة التساهل فيها والتهاون بشأنها، أما الإفراط فهو الغلو والتشدد في العبادة، وعلى ذلك فهناك منهجان في العبادة: التفريط والإفراط – وذلك على التفصيل التالي [3]:

المنهج الأول: ويمثله اليهود في تفريطهم وجفائهم، فلو تأملنا التوراة – بعد تحريفها – لوجدنا تقديس المادة قد غلب عليها، فلا نجد في أسفار التوراة ذكراً للآخرة، حتى ما ورد فيها من وعد ووعيد فإنما هو متعلق بالدنيا فقط.

ووفقاً لهذا التصور المادي الدنيوي أغرق اليهود في تقديس المحسوسات، واتخذوها طريقاً للرقي، وأصبحت القيم المادية محور الحياة، وتحول الإنسان في نظر هؤلاء إلى آلة تتحرك، وكائن يلهو، وقد وصفهم القرآن الكريم، وبين مدى تعلقهم بالحياة الدنيا وحرصهم عليها، فقال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ [4].

المنهج الثاني: ويمثل هذا المنهج النصارى، وهو منهج قائم على الروحانيات وعلى الإفراط والغلو في العبادة، حيث ابتدع النصارى رهبانية قاسية على النفس، تحرم الزواج، وتكبت الغرائز، وتمنع كل أنواع الزينة والطيبات من الرزق، وترى ذلك رجساً من عمل الشيطان، وقد بالغوا في العبادة، وأخرجوها عن كيفيتها، وعن المراد منها، وأصبحت

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ح (٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب استحباب الوجه، ح (٤٧٦٠).

(٣) الوسطية في القرآن الكريم للصلابي – ص٤٩١ وما بعدها (بتصرف).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٦.

رهبانية غالية، ابتدعوها من أنفسهم، بلا حجة ولا برهان، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ (١).

قال القاسمي: " الرهبانية هي المبالغة في العبادة، والرياضة والانقطاع عن الناس، وإيثار العزلة والتبتل " (٢).

وهذه الرهبانية التي ابتدعها النصارى لم يشرعها الله، وهي غلو في العبادة، ولذلك كانت النتيجة عدم قدرتهم على المحافظة عليها لمشقتها وصعوبتها (٣).

ثالثاً: منهج القرآن في العبادة:

عندما بعث الله سيد المرسلين بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، كانت الدنيا مليئة بالعبادات والشعائر، بعضها بقايا أديان سماوية، وبعضها إضافات بشرية في تيه وضياع، بين أديان تعنتت وتزمتت، وأخرى ترخصت وتهاونت.

وجاء الإسلام فلم يحاب الغالين، ولم يوافق المنحرفين، بل شرعه الله (ديناً قيماً) لا عوج فيه، ولا غلو ولا تقصير.

إن منهج الإسلام في العبادة عدم الانقطاع لعبادة الله وإهمال الحياة الدنيا، لأن الإسلام يحث على الاعتدال والتوسط في أداء العبادة من حيث إخفائها أو المجاهرة بها، ومن حيث المبالغة في أدائها بما يجاوز الحد، وذلك على النحو التالي:

١- ففي أداء الصلاة يقول تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءَ الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾ (٤)، نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوار بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن،

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٧.
(٢) تفسير القاسمي – ج١٦ ص٨.
(٣) الوسطية في القرآن الكريم للصلابي – ص٥٠٥.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن (١).

فهذه الآية تأمر بالتوسط بين أمرين منهي عنهما وهما: الجهر الشديد، والمخافتة والإسرار، ولذلك اختتمت الآية بقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾، أي وسطاً بين هذا وذاك.

٢- وفي ذكر الله يقول تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢)، أي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة، وهكذا يستحب أن يكون الذكر، لا يكون نداء وجهراً بليغاً (٣).

٣- وبالنسبة لفريضة الحج: روى أبو هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: " يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج "، فقام رجل فقال: أكل عام يا رسول الله ؟ فقال: " لو قلت لوجبت، ولما استطعتم، ذروني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم " (٤).

وقد أجمع العلماء على أن الحج لا يتكرر، وأنه لا يجب في العمر إلا مرة واحدة، إلا أن ينذره فيجب الوفاء بالنذر، وما زاد فهو تطوع (٥).

٤- وبالنسبة لعبادة الصوم: نهى رسول الله ﷺ عن صوم الدهر، فقال عليه الصلاة والسلام: " لا صام من صام الأبد " (٦)، وقال لمن أراد أن يصوم الدهر كله: " صُم صوم نبي الله داود، ولا تزد عليه " فقال: يا رسول الله، وما كان صيام داود عليه الصلاة

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير – ج ٣ ص ٦٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير – ج ٢ ص ٢٨١.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر، ح (٢٣٨٠).
(٥) فقه السنة – للشيخ السيد سابق – مكتبة المسلم بالقاهرة – ج ١ ص ٥٢٩.
(٦) صحيح البخاري، باب صوم يوم وإفطار يوم، ح (١٨٧٦)، ومسلم في صحيحه كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر ح (١٩٦٦).

والسلام ؟ قال: " كان يصوم يوماً ويفطر يوماً " [1].

المطلب الرابع: الأسس التي يرتكز عليها منهج التيسير في الإسلام

نتناول هنا بعض الأسس التي يرتكز عليها منهج التيسير في الإسلام، ويتحقق من خلالها الغاية التي من أجلها منحت الأمة الإسلامية سمة " الوسطية " وتميزت عن غيرها من الأمم، وأهم هذه الأسس ما يلي [2]:

أولاً: الأصل في الأشياء الإباحة:

هذه القاعدة العظيمة من أهم الأسس التي قام عليها منهج التيسير في الإسلام، فهي تقرر بأن الأصل في الأشياء حلها وإباحتها، وليس منعها وحرمتها، فكل ما خلق في هذا الكون مسخر للإنسان ومهيأ للاستمتاع به، ما لم يكن فيه نهي صريح.

ومن ثم فلا يحق لأحد أن يحرم هذا المباح، فإنه بذلك يدخل في نطاق التعنت والتشدد المنهي عنه، ومن أجل ذلك جاء التحذير الرباني بالنهي عن تحريم الأمور المباحة، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [3].

ثانياً: الرخصة: وهي أساس متين من أسس التيسير فيه، وهي منحة وصدقة من الله تعالى لعباده، كما قال النبي ﷺ: " صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته " [4].

وقد شرع الله الرخص ليخفف بها عن عباده وطأ بعض التكاليف، ويعذرهم عما لا يطيقونه في بعض الظروف، لذلك يستحب إتيان هذه المنحة، والعمل بها في مواضع

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم باب صوم داود – عليه السلام – ح (١٨٤٣) ومسلم في صحيحه كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر، ح (١٩٦٣).

(٢) اليسر والسماحة في الإسلام لفالح الصغير – ص ٢٠١ وما بعدها (بتصرف).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

(٤) صحيح مسلم، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ح (٦٨٦).

الجواز، لقول النبي ﷺ: " إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى محارمه " [1].

والرخص التي أجازها الله تعالى ورسوله ﷺ كثيرة ومتعددة حيث تشمل جميع أمور الدين في العبادات والمعاملات والعقوبات وغيرها، إلا أن مجالها الأكبر يظهر في العبادات.

ثالثاً: الخطأ والنسيان والإكراه: قال الله تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [2]، وقال النبي ﷺ: " عفى عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " [3].

ومن هذه الآية الكريمة وهذا الحديث النبوي الشريف تظهر سماحة الإسلام في توافقه مع الفطرة الإنسانية السليمة، ومن هذه الفطرة الخطأ الذي يقع فيه الإنسان من غير قصد، وكذلك ما يعتريه من النسيان في بعض الأحيان.

وأما الاستكراه فهو أمر خارج عن إرادة الإنسان، حيث قد يتعرض للتهديد بإيقاع الأذى به أو بأحد أفراد أسرته، وهنا قد رخص له الشارع أن يتنازل عن بعض مفاهيمه الدينية تخلصاً من الحال التي يعانيها، والعذاب الواقع عليه. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ... الآية ﴾ [4].

وما ذلك إلا رحمة بالعباد وتيسيراً عليهم، لأن الخطأ والنسيان من الأمور الفطرية

(١) صحيح ابن خزيمة، باب إباحة قصر المسافر الصلاة في المدن إذا قدمها، ح (٩٥٠)، وأحمد في مسنده ح (٥٦٠٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناسي.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

التي لا يسلم منها أحد، وأما الإكراه فلأن قوة التحمل تختلف من إنسان لأخر، من اجل ذلك جاء هذا التشريع الرباني بهذه الصورة الميسرة التي ترفع المشقة والحرج عن العباد.

رابعاً: النهي عن الغلو في الدين: لقد تنوعت استجابة الناس لدعوات الرسل وتفاوتت في مقدار الاتباع ما بين مفرط مضيع لحدود الله، ومغال تجاوز حدود الله، ومتمسك بالحق.

حيث كان بنو إسرائيل من المغالين وقد نهى الله تعالى عن الغلو والتشدد في الدين بصفة عامة، ووجه هذا النهي بصفة خاصة لأهل الكتاب لأنهم عُرفوا بالغلو والتشدد فقال عز وجل: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً ﴾ (٢)، فالنصارى تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياه فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل غلوا في أتباعه وأشياعه (٣).

وهاتان الآيتان وإن تعلقتا بأهل الكتاب ابتداء فإن المراد منها موعظة هذه الأمة، لتجتنب الأسباب التي كانت سبب غضب الله على الأمم السابقة (٤).

وقال النبي ﷺ عن الإسلام: " إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا

(١) سورة المائدة، جزء من الآية: ٧٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.
(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٥٨٩).
(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور، ص٦٠.

أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى " (١)، وقال صلوات الله وسلامه عليه: " إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدا إلا غلبه... ".

فالإنسان الذي يأخذ هذا الدين كما أراده الله تعالى باعتدال وفهم ووعي ينال السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، وأما الذي يشاد فيه ويتشدد في غير موضع التشدد، ويحرم الحلال والمباح، فإنه ينال الشقاء والعذاب في الدنيا والآخرة.

وفي الحقيقة أن قبول الطاعة غير مرتبط بمدى التعب والنصب، لأن الله تعالى لا يحب أن يطاع بغير ما أنزله على عباده، فالذي يعبد الله ليلاً نهاراً بشكل يخالف منهج الله تعالى يجعل عبادته عرضة لعدم القبول مهما أتعب نفسه وأرهقها، والله عز وجل في غنى عن أعمال العباد، ولكنه جل شأنه يفرح عندما يرى عباده على دينه القويم.

خامساً: التوبة: يقول النبي ﷺ: " كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"(٢).

والتوبة من الأسس المتينة التي يرتكز عليها منهج التيسير في الإسلام، وهي سبب من أسباب ثبوت المؤمن وبقائه على دين الله تعالى، حيث تزيل عن كاهله هموم المعاصي، وتدفعه للعمل دوماً نحو الأفضل، يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣).

ومن يسر هذا الدين وسعته ورحمته أن الله تعالى جعل التوبة والأعمال الصالحة مكفرات لخطايا بني آدم، وتؤدي إلى تبديل السيئات إلى حسنات، يقول تعالى: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ... ﴾ (٤).

(١) أخرجه أحمد في مسنده ح (١٢٥٧٩).
(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة ح (٢٤٩٩)، وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب ذكر التوبة ح (٤٢٥١).
(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

المبحث الثاني: جذور الغلو في الدين

لقد عاش رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام – رضي الله عنهم – عاملين بتعاليم الوحي على أفضل وجه وأعدله، وقدموا لنا صورة مثالية فريدة في تنفيذ أمر الله بتوازنه واعتداله ووسطيته، وشموله وواقعيته، وبذلك نالوا شرف خيرية هذه الأمة، حيث قال النبي ﷺ: " خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم " (١).

ومع ذلك فقد وقعت بعض المواقف الفردية من بعض الصحابة تشير إلى الاتجاه إلى سبيل الغلو والتشدد في الدين، عن رغبة صادقة للازدياد من الخير، ولكن الرسول الكريم والمربي العظيم ﷺ ردهم عن هذا السبيل، وقوَّم هذا العوج، وصحح نظريتهم، وأرشدهم إلى سبيل الاعتدال والخير القويم، فاستجابوا وأطاعوا، كل ذلك كان بأسلوب حكيم، ونهج مستقيم (٢).

وفيما يلي بعض هذه الحالات:

١- عن أنس ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني " (٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب باب فضائل أصحاب النبي، ح (٢٦٠٠)، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة رضي الله عنهم ح (٤٥٩٩).

(٢) ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث – محمد عبد الحكيم حامد – دار المنار الحديثة ط١ سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م – ص٨١.

(٣) صحيح البخاري، باب الترغيب في النكاح، ح (٥٠٦٣).

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما – قال: بينما كان النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: " مروه فليتكلم وليستظل، وليقعد وليتم صومه " (١). قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: أن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلاً، مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة، كالمشي حافياً، والجلوس في الشمس ليس من طاعة الله (٢)، ففي هذا الحديث دليل على بطلان ما أحدثه الجهلة من المتصوفة من الأعمال الشاقة المنكرة والزعم بأن ذلك طريقه لتزكية النفس (٣).

٣- ما وقع من عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – حيث قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كنته، فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من الرجل، لم يطأ لنا فراشاً، ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: " القني به " فلقيته، فقال: ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة ؟ فقلت: بلى يا نبي الله، ولم أرد بذلك إلا الخير، قال: " فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام "، قلت: يا نبي الله إني أطلق أفضل من ذلك، قال: فإن لزوجك عليه حقاً، ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً، قال: فصم صوم داود نبي الله صلى الله عليه وسلم: فإنه كان أعبد الناس " قلت: يا نبي الله وما صوم داود، قال: " كان يوم يوماً ويفطر يوماً "، قال: " واقرأ القرآن في كل شهر " قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: " فاقرأه في كل عشرين "، قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: " فاقرأه في كل عشر "، قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: " فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك فإن لزوجك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً " قال: فشددت

(١) صحيح البخاري، باب النذر فيما لا يملك، ح (٦٧٠٤).

(٢) فتح الباري (١١ / ٥٩٠).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي (٩ / ١١٥).

فشدد علي، وقال لي النبي ﷺ: " إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر "، قلت: فصرت إلى الذي قال النبي عليه الصلاة والسلام فلما كبرت وددت إني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ) [1] قال الإمام ابن حجر – رحمه الله –: " السبب فيه أنه كلما ازداد من الصوم ازداد من المشقة الحاصلة بسببه المقتضية لتفويت بعض الأجر الحاصل من العبادات التي قد يفوتها مشقة الصوم، فينقص الأجر باعتبار ذلك " [2].

فصيام نبي الله داود – عليه السلام – يعد أعدل الصيام وأحبه إلى الله لأن فاعله يؤدي حق نفسه وأهله وزائره أيام فطره بخلاف متابعة الصيام، فصومه لم يضعفه عن القيام بالأعمال التي هي أفضل من الصيام كثباته عند ملاقاة العدو وعدم الفرار والهرب، وعن أداء فرائض الله [3].

٤- عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: (ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل) فقال عمر يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال: (دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه – وهو قدحه – فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ومسلم في صحيحه، كتاب الصوم باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، ح (١١٥٩).

(٢) فتح الباري (٤ / ٢١٩).

(٣) فتح الباري (٤ / ٢٢٣)، الاعتصام للشاطبي (١ / ٣٨٧)، تهذيب الآثار للطبري، مسند الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١ / ٣٢٢).

يوجد فيه شيء ويخرجون على حين فرقة من الناس) [1].

٥- عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة، فقال: " من هذه ؟ " قلت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: " مه عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ " [2]. قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: " عليكم بما تطيقون: أي اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق " [3].

٦- عن أنس ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين، فقال: " ما هذا ؟ " قالوا لزينب تصلي، فإذا كسلت أو فترت أمسكت به، فقال: " حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر فليقعد " [4].

٧- قال الإمام الطبري – رحمه الله –: (إن مجموعة من الصحابة تبتلوا فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح، وحرموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وأجمعوا على قيام الليل، وصيام النهار، فنزلت هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [5]، فلما نزلت فيهم هذه الآية بعث إليهم رسول الله ﷺ فقال: " إن لأنفسكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً، صوموا وأفطروا، وصلوا وناموا، فليس منا من ترك

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين، باب قتل الخوارج بعد إقامة الحجة عليهم، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح (١٠٦٣).

(٢) صحيح البخاري، باب ما يكره من التشديد في العبادة، ح (١١٥١).

(٣) فتح الباري (١ / ١٠٢).

(٤) المرجع السابق – رقم ١١٥٠.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

سنتنا "، فقالوا: اللهم أسلمنا واتبعنا ما أنزلت [1].

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل نمت بذور خبيثة أثمرت شراً وفتناً، وذلك حين امتدت الأيدي الآثمة فقتلت الخليفة الراشد أمير المؤمنين ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأدى إلى إشعال مثيري الفتنة بانقسام المسلمين بين الذي قتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم وهم اليهود والمجوس، فالذي قتل عمر أبو لؤلؤة المجوسي، وقتل عثمان: حمران بن الأسود السبئي، وقتل علي: عبد الرحمن بن ملجم المجوسي، وهؤلاء يتم استغلالهم من الكفار، وقد ذهب عدد من الصحابة إلى وجوب القصاص من القتلة، وفريق قال بتأجيل القصاص حتى تقوى شوكة الإسلام، فكانت وقعة الجمل وتبعتها صفين.

وقد وصف المصطفى عليه الصلاة والسلام الخوارج وانحرافهم بقوله: (يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم) والمراد أنهم يقرأون القرآن ويقرؤونه ولكنه لا يتفقهون فيه ولا يعرفون مقاصده.

(١) تفسير الطبري، ج ٧ ص١١.

المبحث الثالث: مظاهر الغلو وأسباب الغلو[1]

إن مظاهر وأسباب الغلو تبلغ حداً في الكثرة أذكر منها:

- اتباع الهوى قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ المائدة: ٧٧.
- اتباع اليهود، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.
- اتباع العصاة من اليهود والنصارى ممن غضب الله عليهم ولعنهم.
- فعل المعاصي والرضا بها.
- عدم النهي عن المنكر.
- موالاة الكافرين والاطمئنان إليهم.
- الإعراض عن الكتاب والسنة.
- الجهل وضعف العلم الشرعي، أو أخذ العلم على غير نهج سليم، أو تلقيه من غير أهلية ولا جدارة، والجهل يكون بالكتاب العزيز أو الجهل بالسنة، أو الجهل بمنهج السلف الصالح، أو الجهل بمقاصد الشريعة، أو الجهل بحقيقة الإيمان، أو الجهل بمراتب الأحكام ومراتب الناس فهم ليسوا سواسية.
- ظهور نزعات الأهواء والعصبيات والتحزبات.
- الابتعاد عن العلماء والإعراض عنهم، وترك التلقي عنهم والاقتداء بهم، والتلقي

(١) ينظر: مظاهر الغلو في الدين، أ. د / ناصر العقل، التحذير من الغلو في الدين الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الوسطية من أبرز خصائص هذه الأمة، عبد الحكيم محمد بلال، الغلو في الدين عبد الرحمن اللويحق.

عن دعاة السوء والفتنة والالتفاف حولهم.

- التعصب والاستعجال.
- الحكم على العلماء وتصنيفهم.
- التعامل المباشر مع النص والفهم الحرفي له.
- الاضطراب النفسي والسلوكي مع عدم اشباع الحاجات الإنسانية.
- الجدال واتباع الهوى.
- الفساد العقدي وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الطعن بالدين والاستهزاء، والعنف.
- غياب دور العلماء.
- غياب الهوية، وانتشار العلمانية.
- فساد كثير من وسائل التوجيه والتأثير.
- التعالي على العلماء وعلى الناس، واحتقار الآخرين وآرائهم.
- شيوع المنكرات والفساد والظلم في المجتمعات، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو التقصير فيه، كما في كثير من البلاد الإسلامية.
- ما أحدثه سوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية في كثير من بلاد المسلمين من نقمة كثير من الشاب على الواقع وأهله.
- إعراض أكثر المسلمين عن دينهم، عقيدة وشريعة وأخلاقاً، إعراضاً لم يحدث مثله في تاريخ الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ طه: ١٢٤، ومن ظاهر هذا الإعراض: كثرة البدع، مما أدى إلى ظهور الافتراق والفرق والأهواء، والتنازع والخصومات في الدين.

- الإعراض عن نهج السلف الصالح وجهله.

- العلمنة الصريحة في أكثر بلاد المسلمين وظهور الزندقة والتيارات الضالة.
- ظهور الفواحش والمنكرات.
- التعلق بالشعارات والمبادئ الهدامة والأفكار المستوردة.

وكل هذه الأمور ونحوها مما يندرج تحت مفهوم الإعراض عن شرع الله تثير غيرة الشباب المتدين، وحين لا يظهر له السعي الجاد لتغيير الحال وإنكار المنكر، يلجأ إلى التصدي لهذه الانحرافات بلا علم ولا حكمة.

- تقصير كثير من المسلمين في حق الله تعالى، وارتكابهم للذنوب والمعاصي، والمنكرات وضعف مظاهر التقوى والورع والخشوع في حياة المسلمين اليوم.
- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو التقصير فيه في أكثر بلاد المسلمين.
- شيوع الظلم بشتى صوره وأشكاله، مما يُنمي مظاهر السخط والتذمر والحقد والتشفي في النفوس.
- تدخل الكافرين وتحكمهم في شؤون المسلمين ومصالحهم، عبر الاحتلال، والغزو الفكري والإعلامي والاقتصادي، مما أدى إلى تذمرهم وشعور شبابهم ومثقفيهم وأهل الغيرة منهم بالضيم والإذلال والإحباط وما ينتج عن ذلك من ردود الأفعال والسخط والعنف.
- التضييق على الصالحين والمتمسكين بالسنة ومحاربتهم، والعلماء والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والتمكين لأهل الفسق والفجور والإلحاد، مما يعد أعظم استفزاز لذوي الغيرة والاستقامة.
- الجفوة بين العلماء والشباب، ففي أغلب بلاد المسلمين تجد العلماء بعلمهم وحكمتهم وفقههم وتجاربهم في معزل عن أكثر الشباب، وربما يسيئون الظن بالكثير منهم كذلك، وبالمقابل تجد الشباب بحيويتهم ونشاطهم وهمتهم بمعزل عن

العلماء، وربما تكون سمعتهم في أذهان الكثيرين على غير الحقيقة، وبعض ذلك بسبب انحراف مناهج التربية لدى بعض الجماعات، وبسبب وسائل الإعلام المغرضة التي تفرق بين المؤمنين، مما أوقع بعض الشباب في الأحكام والتصرفات الجائرة والخاطئة التي لا تليق تجاه علمائهم، وتجاه حكامهم، وكذلك هناك حاجز نفسي كبير بين النخبة من الشباب، وبين المسئولين، تجعل كلاً منهم يسيء الظن بالآخر، ولا يفهم حقيقة ما عليه الآخر إلا عبر وسائط غير أمينة غالباً، ومن هنا يفقد الحوار الذي هو أساس التفاهم والإصلاح.

- قصر النظر وقلة الصبر وضعف الحكمة.
- تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام، فنحن للأسف نعيش اليوم في عصر مع شباب حدثاء الأسنان سفاء الأحلام لم يأخذوا العلم عن الثقات ولا عن مصادره الأصلية ولم يستمعوا لقول الله تعالى ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾، كما أن هؤلاء لم يرجعوا إلى الراسخين في العلم وإنما قرأوا جملة من الآيات أو جملة من الأحاديث ثم نصبوا أنفسهم للافتاء فأخذوا يكفرون الأمة ويفسقونها ويجهلون العلماء ويسفهونهم ويخوضون في أعراضهم ويسعى هؤلاء الشباب في تضليل الناس ووصفهم بالابتداع، ويصدرون من الفتاوى ما يؤدي إلى الفتنة والبلبلة والاضطراب ويخوضون في القضايا الكبرى للأمة ومصالحها العليا، وهذا من الفتن العظيمة ومن الشر المستطير فيجب على العلماء وأولي الأمر والرأي أن يتصدوا لهؤلاء ويبعدونهم عن الساحة ليسلم الناس من هذا الهراء ولا يتصدى للفتوى إلا الراسخون في العلم، ومن وهبهم الله فهماً دقيقاً وفقهاً عميقاً.

ولهذا قال الإمام مالك على ما هو عليه من وعي وفهم وعلم إذا أفتى في مسألة (إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين) ولما سئل عن كيفية الاستواء على العرش قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وسئل أيضاً عن ٣٦

مسألة فأجاب عن بعضها وقال للسائل: لا أدري، وهذا من تمام الأدب مع الله تبارك وتعالى وتواضع العلماء وشعورهم بثقل الأمانة وخطورة المسؤولية، وكان الإمام الشعبي وهو من الأئمة العلماء في العراق يسأل عن المسألة فيقول: لا أدري، فيقال له: كيف تقول يا إمام لا أدري وأنت الإمام والقدوة، فقال رحمه الله: لقد قالت الملائكة من قبلي تخاطب الباري جل وعلا ﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ سورة البقرة: ٣٢.

وقد قال الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه (إن أحدكم ليفتي الفتوى وهي من القضايا التي لو سأل عنها الخليفة عمر لجمع لها أهل بدر فأجرأ الناس على الفتوى أجرأهم على النار).

- ادعاء العلم والغرور.
- التشدد في الدين والتنطع، والخروج عن منهج الاعتدال في الدين، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال: (إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) ؟ وذلك ناشئ عن قلة الفقه، وهما من أبرز سمات الخوارج – أعني التشدد في الدين وقلة الفقه –، وأغلب الذين يترعون إلى الغلو والعنف اليوم تجد فيهم هاتين الخصلتين.
- شدة الغيرة وقوة العاطفة لدى فئات من الشباب والمثقفين وغيرهم بلا علم ولا فقه ولا حكمة، مع العلم أن الغيرة على محارم الله وعلى دين الله أمر محمود شرعاً، لكنه مشروط بالحكمة والفقه والبصيرة ومراعاة المصالح ودرء المفاسد، فإذا فقدت هذه الشروط أو بعضها أدى ذلك إلى الغلو والتنطع والشدة والعنف في معالجة الأمور، وهذا مما لا يستقيم به للمسلمين أمر لا في دينهم ولا في دنياهم.

إن توافر القليل من هذه الأسباب يمهد لظهور الغلو، في أي زمان وأي مكان وأي مجتمع.

ثالثاً: العلاج:

١- الوضوح والشفافية والصراحة في طرح قضايا التكفير والعنف والغلو وأسبابها والاعتراف بوجودها وآثارها، لاسيما بعد أن شاعت هذه الأمور عبر وسائل الإعلام والإنترنت ومجالس الناس الخاصة والعامة.

٢- عدم الخلط بين القضايا التي لها أصول شرعية وبين ما فيه مخالفة للشرع، فالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراء ونحوها كلها أصول عقدية معتبرة شرعاً بشروطها، فيجب بيان الخطأ في تفسيرها وفهمها، وعدم الخلط بينها وبين التكفير والعنف والإرهاب والغلو، لاسيما في الخطاب الإعلامي الذي يمثلها.

فليس كل أهل الغلو والتكفير خوارج، وليس كل جهادي يكفر وليس كل مكفر جهادي، وليس كل مجاهد مكفر، والخلط بينهم أدى إلى التباس الأمور على كثير من الناس، وإلى تعاطف آخرين معهم كذلك.

٣- كشف مواطن الإشكال واللبس والغموض في القضايا الحساسة، وإعلان الوجهة الشرعية فيها، وتأصيل ما لم يتم تأصيله شرعاً.

٤- استقراء شبهات الغلاة ودعاويهم وتلبيساتهم أو الأمور الملتبسة عليهم، وتتبع مقالاتهم ومؤلفاتهم وسائر مزاعمهم والتعرف على رؤوسهم ومرجعياتهم، ثم الرد عليهم بالحجة والدليل والبرهان الشرعي والعقلي. والحوار الجاد مع المنظِّرين والمتبوعين منهم.

٥- طرح برامج وخطط علمية مدروسة ومحددة ومبرمجة بعناية لعلاج ظواهر الغلو بالحوار والمناقشة والحجة والتربية والبرامج العلمية والإعلامية والتربوية والاجتماعية قريبة المدى وبعيدة المدى.

٦- استنهاض همم العلماء والدعاة والمفكرين والمربين للإسهام في حل المشكلة وتخفيف آثارها والحد من انتشارها بأكثر مما هو حاصل وبكل الوسائل المتاحة، فيجب على الجميع طرح المشكلة بوسائل الإعلام، ومؤسسات التربية والتعليم، بأسلوب علمي مدروس.

٧- التأكيد على أهل الحل والعقد وعلية القوم في المجتمع والعلماء في ممارسة دورهم الريادي بفتح أبوابهم للشباب وعامة المجتمع، وأن يخصص كل واحد منهم وقتاً يومياً أو أسبوعياً، يستقبل فيه الناس ويحاورهم، ويخصص للشباب المندفع وقتاً يحاورهم ويرفق بهم ويرشدهم، وليعلم أن غالبية الشباب المندفع الذي قد يتعاطف مع الغلاة، إذا تم حوارهم برفق وسعة صدر وحلم وتذكير بالأصول الشرعية على استعداد للتراجع عما هم عليه، لكن انشغال العلماء عن هذه المهمة، صرف كثيراً من الشباب إلى الفضائيات والإنترنت ودعاة السوء والفتنة والتيارات المعادية.

٨- إنشاء مراكز وجمعيات ومؤسسات متخصصة رسمية وغير رسمية تعنى بهذه الأمور يكون فيها باحثون ومتخصصون متفرغون يعكفون على البحث والدراسة والحوار، وتوفر لهم الإمكانات اللازمة والوسائل العلمية والإعلامية وغيرها.

٩- توسيع دائرة الإفتاء نوعاً وكماً وكيفاً، وإنشاء دوائر للفتوى في كل المناطق واسعة الصلاحيات كبيرة الإمكانات تتصدى لحاجات المجتمع ومشكلاته وإشكالاته الكبيرة والكثيرة والخطيرة، وكذلك الدعوة والشؤون الإسلامية..

١٠- تفعيل دور رئاسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتقاء بمستواها من حيث الوظائف والإدارة، والوسائل والإمكانات والدراسات.

١١- إن أغلب الغلاة ذوي العاطفة والغيرة والحماس، ينقصهم التعمق الفقهي والتجارب والحكمة، وتستهويهم الأهواء والتيارات مما يتطلب: الإكثار من الإصدارات والندوات والدورات والمحاضرات واللقاءات في علاج الغلو، وأن تكون هناك برامج ثابتة في الإعلام، إنشاء أندية ومؤسسات تطوعية وجمعيات خيرية تستوعب الشباب وتسد فراغهم، ويمكن الاستفادة من الطاقات التي لديهم فيما يعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع.

١٢- الحوار الجاد والمجادلة بالتي هي أحسن، ومن خلال النصوص الشرعية والقواعد المعتبرة من قبل الراسخين والمتخصصين الذين يحترمهم المحاور ويعترف بجدارتهم،

ثم الجد والحزم في معالجة أسباب الغلو، بعد إقامة الحجة وكشف مواطن الانحراف.

١٣- على الشباب أن يعلم أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والأعراف، وتغير حاجات الناس، وقدراتهم وإمكاناتهم، وعموم البلوى، وتغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتغير الرأي والفكر، لابد أن نراعي هذه الاختلافات والتغيرات، ليتحقق العدل الذي تريده الشريعة والمصلحة التي تسعى لتحقيقها في كل أحكامها، فقد يكون تغير الزمان الموجب لتبديل الأحكام الفقهية الاجتهادية ناشئاً عن فساد الأخلاق، وفقدان الورع، وضعف الوازع الديني، وقد يكون ناشئاً عن حدوث أوضاع تنظيمية، ووسائل مرفقية جديدة، من أوامر قانونية مصلحية، وترتيبات إدارية، وأساليب اقتصادية [١]، وقد يكون تغير الفتوى بسبب حصول الترعة الفردية والأنانية، وإذاً فأعمال الاجتهاد والتجديد ضرورة ملحة لاستيعاب قضايا العصر ومتطلبات الحياة، من خلال الثبات على مقاصد الشريعة وقواعدها العامة ومبادئها الكلية مع المرونة في الوسائل ودقة الفهم وإدراك المصلحة.

(١) المدخل الفقهي العام للعلامة الشيخ مصطفى الزرقاء (٣ / ٩٤١).

المبحث الرابع: ظاهرة التكفير[١]

بعد التكفير من أعظم مظاهر الغلو، يسلكه أهل الضلال من الخوارج وغيرهم لاستحلال دماء المسلمين وجواز الخروج على الحكام الفسقة في نظرهم.

فمنهج التكفير والتفسيق انتشر بين بعض الشباب وصاروا يتكلمون ويتناقشون فيه، ويحكمون على أشخاص من عموم المسلمين، وبل يحكمون على الحكام وعلى العلماء وهذا أمر خطير جداً وله آثاره العظيمة، حيث لا ينبغي لمن ليس لديه علم أن يحكم بالكفر إلا على من كفره الله ورسوله ﷺ، وذلك بارتكابه أحد نواقض الإسلام المجمع عليها عند أهل العلم، قال ﷺ: (أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما) [٢].

قال شيخ الإسلام: " طريقة أهل البدع يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ويكفرون من خالفهم في بدعهم " [٣]، والتكفير مرحلة خطيرة على الفرد وعلى المجتمعات.

وظاهرة التكفير موجودة منذ الصدر الأول ولا زالت، وكانت بداية هذه الفتنة في عهد النبي ﷺ عندما قال عبد الله بن ذي الخويصرة لما قسم غنائم حنين: أعدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني أضرب عنقه، قال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجل في غنم له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك ﴿ وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

(١) خطورة التكفير د / لولوه عبد الكريم المفلح، التكفير ضوابطه وشروطه، أ. د / صالح بن غانم السدلان.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، ح (٦١٠٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، ح (٦٠).

(٣) الرد على البكري (٢ / ٢٥٥).

فحصل اللوم من رسول الله ﷺ بسبب تسرعهم.

وقال أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة قال: فصحبنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال: فقال لي يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ قال: قلت يا رسول الله: إنما كان متعوذاً، قال: قتلته بعدما قال: لا إله إلا الله ؟ قال: فمازال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل اليوم) ؟

وينبغي علينا عدم تكفير شخص إلا بحجة راسخة وذلك بالرجوع إلى الكتاب العزيز وإلى السنة النبوية المبينة للأحكام القرآنية وما معرفة حدود ما أنزول الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالة التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، ومازال السلف يتنازعون في كثير من المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية، ومذهب التكفير مذهب الحرورية المارقين الخارجين على علي بن أبي طالب ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين لهم المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة.

أسباب التكفير، منها:

١- الجهل في معرفة الكفر، والفرق بين الكفرين: الأكبر والأصغر، وحال أصحابها من جهة اجتماع الشروط وانتفاء الموانع، والفرق بين الكفر المطلق والكفر

المعين، والكفر الدنيوي والحكم لأصحابه بالخلود الأخروي في النار.

٢- الاكتفاء باليسير من العلم الشرعي.

٣- التحمس للدين والتشدد فيه على قاعدة ضعيفة واهية، وأسس غير صحيحة.

٤- عدم التأصيل العلمي على يد العلماء.

٥- ضعف العقيدة فليس لديهم معرفة بالعقيدة ولا بالسنة النبوية.

٦- اتباع الهوى، والأغراض النفسية في تكفير المخالف وذمه والقدح في عرضه بالكفر دون تبصر بالعلم، وتورع بالديانة.

٧- اتباع المذاهب البدعية، والأقوال الشاذة، وتقليد الأصاغر في العلم والدين.

٨- الاستهانة بمحارم الله وأحكام شرعه.

آثار التكفير السلبية، منها:

١- أنه يتسبب في تفريق المجتمع، وشحن النفوس بالأحقاد وسوء الظن بالمسلمين وتتبع هفواتهم.

٢- سبب في ضياع كليات الدين الست، وهي: حفظ الدين وحفظ العقل، وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العرض، وحفظ النسل.

٣- أنه سبب في زعزعة الأمن وإثارة البغضاء والضغائن بين المسلمين.

٤- سبب تأويل النصوص حسب الأهواء وتحريف الدين.

٥- من عوامل تقوقع الدعوة الإسلامية والحد من انتشارها.

٦- صرف الأنظار عن التحديات التي تواجه المسلمين في كل مكان.

٧- أنه سبب الفرقة بين الحكام والرعية من خلال رمي الحكام بالكفر.

٨- تشويه سماحة الإسلام وعالميته.

علاج هذه الظاهرة:

١- نشر العلم الصحيح.

٢- معالجة الظواهر الفردية بالفرق واللين والتوجيه والتربية وحسن البيان وبالحكمة والبصيرة اللائقة بها زماناً وواقعاً وحالاً.

٣- قيام كل راع مسؤول عن رعيته بواجبه المناط به ديانةً وأداءً للأمانة الواجبة، وإبراء للذمة ونصحاً للأمة.

الخاتمة

وبعد: تتميز أمتنا برسالتها، رسالة الخير والرحمة للعالمين سنجد أناساً في دول شتى تطلعت نفوسهم زمناً طويلاً أن يروا على الأرض إنساناً، سنراهم يسعدون لبقاء أمة الخير قائمة رسالتها يستجار بها كما استجير بها من قبل، وهي لا تفرق حين تنصف بين عدو وصديق، وإنما تبذل الخير للناس أجمعين انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المائدة: ٨، وقال تعالى: ﴿ لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ سورة الممتحنة: ٨، والبر أرقى أنواع الإكرام والاحترام، والقسط قمة العدالة والإنصاف. لقد قدم لنا القرآن الكريم دروساً بليغة راقية في الإنصاف بشتى صوره وفي مختلف مجالاته، فقد تضمنت الآيتان الأمر بالتزام القسط والإنصاف، والنهي عن تركه وتنكبه، وذلك في أشد المواطن على النفس وادعاها إلى الميل والتحيز.

إن الإنسان بين ثبات حقائق الدين وهي صميم فطرته وثبات المدنية، وهي قائمة في شؤون حياته يحتاج إلى فقه التدين للتمسك بحقائق الدين والإفادة من منجزات العصر.

لذا فإن الدعاة إلى الله يجب أن يعدوا إعداداً خاصاً يجمع بين فقههم بدينهم ومعرفتهم بواقع عصرهم، وأن يكونوا على علم بأن البشر يصيبون ويخطئون، وأن فطرة الدين تتيح لكل من بعد عن الحق أن يؤوب، ولكل مذنب أن يتوب ورضي الله عن الخليفة الراشد أبي بكر الصديق إذ يقول: أربع من كن فيه كان من خيار عباد الله: من فرح بالتائب، واستغفر للمذنب، ودعا للمدبر، وأعان المحسن "، وقال سعيد بن المسيب أنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغي أن نذكر عيوبه: من كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله " وجاء في الأثر: " أقيلوا لذوي الهيئات عثراتهم ".

النتائج والتوصيات:

١- أهمية تربية الأبناء على ثقافة الحوار وقبول الآخر.

٢- توجيه الأبناء وتحذيرهم من رفقة السوء، وحثهم على مصاحبة الأخيار، والتحلي بالأخلاق الإسلامية، والاقتداء بالقدوة الحسنة.

٣- تحذير الأبناء وحمايتهم من مخاطر الفضائيات المشبوهة، ومواقع الإنترنت الإباحية والمغرضة والمتطرفة.

٤- على الآباء أن ينتبهوا إلى خطورة النقد الاجتماعي أمام أبنائهم.

٥- يتعين على الأسرة القيام بدورها الفاعل في حماية أبنائها من الوقوع والانخراط في طريق الضلال.

٦- تشجيع أبنائهم على الاعتدال في فهم الإسلام، واحترام الآخر والتقيد بالأنظمة.

٧- الحذر من مفارقة جماعة المسلمين، وأخذ الدين عن علمائه المتخصصين الثقات والمعروفين بوسطيتهم، ونبذ التفسيرات الخاطئة لقضاي التكفير والجهاد والولاء والبراء.

٨- يتعين الاستفادة من الشباب المتحمس بتكثيف مواقع الدعوة إلى الله وبيان سماحته ووسطيته على الانترنت تحت إشراف علماء متبحرين.

٩- على الشباب أن تتقي الله " عز وجل " في الإسلام والمسلمين، وأن يعلموا أن ما أصاب الإسلام والمسلمين كان مما اقترفته أيديهم وبسببهم.

١٠- على الجماعات المغالية أن تتوقف عن ارتكاب الأعمال الإجرامية، وتعود إلى رشدها.

١١- على الجماعات ووزارة الشؤون الإسلامية والمؤسسات الدينية أن تؤدي رسالتها السامية على أكمل وجه من خلال:

أ- إعداد الأئمة للقيام بواجبهم على الوجه المطلوب.

ب- تفعيل دور المسجد التوعوي بتبصير المجتمع بأضرار الغلو والتطرف ومخاطر الإرهاب.

ج- ضرورة تكثيف جهود الدعاة من خلال العمل الميداني لتوعية وتبصير الشباب بشأن الانحرافات الفكرية وما يترتب عليها من مخاطر وأضرار.

د- ينبغي الاهتمام بخطبة الجمعة من خلال اشتمالها على تصحيح المفاهيم الخاطئة والأفكار المنحرفة، والابتعاد عن أساليب الإثارة المحفزة على الغلو والتطرف.

ه- أهمية نشر ثقافة الوسطية والاعتدال والحوار وأدب الاختلاف وقبول الآخر، وتصحيح المفاهيم لدى الطلاب في قضايا التكفير، وبيان حقوق العلماء والحكام.

و- ضرورة تعزيز الانتماء الوطني لدى الناشئة.

ز- تكثيف الأنشطة الصفية وإشراك جميع الطلاب والطالبات حتى يتم شغل أوقات فراغهم.

ح- أهمية تقديم المؤسسات التعليمية جوائز مالية للشباب الذين لهم إسهامات في نشر فكر الوسطية والاعتدال، وتعزيز الانتماء الوطني بين الطلاب.

١٢- رصد وجمع الشبهات التي يثيرها أصحاب الغلو والتطرف، والعمل على وضع الردود المناسبة الكفيلة بتفنيدها، ونشرها بجميع الوسائل المتاحة وتسهيل الحصول عليها.

١٣- على وزارة الثقافة والإعلام وضع ميثاق شرف لتجنب ازدراء القيم والرموز الإسلامية، والابتعاد عن البرامج الحوارية مع أدعياء العلم الشرعي، والابتعاد عن تقديم البرامج المثيرة للغرائز، والمؤججة للحقد الاجتماعي المؤدي إلى فكر التطرف والغلو والتكفير، وتجنب التغطيات الإعلامية المغلوطة التي تهدف إلى الإثارة.

مع أهمية تجنب الانزلاق وراء ترديد ما تثبته بعض وسائل الإعلام الدولية من رسائل مغلوطة ومشوهة لصورة الإسلام والمسلمين.

١٤- ضرورة تشجيع البحوث والدراسات، وعقد المؤتمرات والندوات وورش العمل وحلقات النقاش في مجالات ظواهر الغلو والتطرف والإرهاب، والتعرف على مصادرها ومناهجها وأسبابها ودوافعها ومخاطرها، ووضع الحلول الفعالة لمواجهتها والحد من انتشارها، وإنشاء قاعدة بيانات ومعلومات لما تقدم.

نسأل الله أن يرينا الحق ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل ويرزقنا اجتنابه

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

فهرس المصادر والمراجع

١- الأحاديث المختارة للمقدسي.

٢- أحكام القرآن.

٣- الأشباه والنظائر للسيوطي.

٤- أصول المجتمع – د / جمال الدين محمود.

٥- الاعتصام للشاطبي.

٦- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – الطبعة ٢ سنة ١٣٩٥ هـ.

٧- اقتضاء الصراط المستقيم.

٨- بحث خطورة التكفير د / لولوه عبد الكريم المفلح.

٩- التحذير من الغلو في الدين الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

١٠- تفسير ابن كثير.

١١- تفسير الرازي.

١٢- تفسير الطبري.

١٣- تفسير القاسمي.

١٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

١٥- تفسير الكشاف للزمخشري.

١٦- تفسير المنار – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٧٢ م.

١٧- تهذيب الآثار للطبري، مسند الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

١٨- الثقات لابن حبان.

١٩- الجامع الصحيح للترمذي.

٢٠- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.

٢١- سنن ابن ماجة.

٢٢- سنن أبي داود.
٢٣- سنن الدارمي.
٢٤- السنن الكبرى للبيهقي.
٢٥- سنن سعيد بن منصور.
٢٦- شرح النووي على صحيح مسلم.
٢٧- شعب الإيمان للبيهقي.
٢٨- الصحاح للجوهري.
٢٩- صحيح البخاري.
٣٠- صحيح مسلم.
٣١- ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث – محمد عبد الحكيم حامد – دار المنار الحديثة ط ١ سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.
٣٢- العبادة في الإسلام – د / يوسف القرضاوي.
٣٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي.
٣٤- الغلو في الدين عبد الرحمن اللويحق.
٣٥- الغلو في الدين للدكتور عبد الرحمن اللويحق.
٣٦- فتح الباري.
٣٧- فقه السنة – للشيخ السيد سابق – مكتبة المسلم بالقاهرة.
٣٨- القواعد والضوابط الفقهية.
٣٩- الكليات، لأبو البقاء الكفوي.
٤٠- لسان العرب.
٤١- مجمع الزوائد للهيثمي.
٤٢- مجموع الفتاوى.

٤٣- محاضرة التكفير ضوابطه وشروطه، أ. د / صالح بن غانم السدلان.
٤٤- المحجة في سير الدلجة.
٤٥- مدارج السالكين.
٤٦- المدخل للفقه الإسلامي – للدكتور / محمد سلام مدكور – دار النهضة العربية بالقاهرة – ط ٣ سنة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م.
٤٧- مسند أبي يعلى.
٤٨- مسند الإمام أحمد.
٤٩- مظاهر الغلو في الدين، أ. د / ناصر العقل.
٥٠- المعجم الأوسط للطبراني.
٥١- المعجم الكبير للطبراني.
٥٢- معجم مقاييس اللغة.
٥٣- مفتاح دار السعادة لابن القيم.
٥٤- مفهوم السماحة واليسر في الكتاب والسن – د / ناصر بن عبد الله الميمان – ضمن البحوث المقدمة في ندوة " أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو " مكة المكرمة في ١١ / ٨ / ١٤٢٤ هـ.
٥٥- مقاصد الشريعة الإسلامية – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – دار النفائس بالأردن – ط ٢ سنة ١٤٢١ هـ.
٥٦- مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام – أ / عمر بن صالح – دار النفائس بالأردن – الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.
٥٧- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.
٥٨- وسطية الإسلام في سماحة الدين وتسامحه، أ. د / محمد بن أحمد الصالح.
٥٩- الوسطية في القرآن الكريم للصلابي.
٦٠- الوسطية من أبرز خصائص هذه الأمة، عبد الحكيم محمد بلال.

١- اليسر والسماحة في الإسلام – د / فالح بن محمد الصغير – ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر " موقف الإسلام من الإرهاب " المنعقد بالرياض في المدة من ١ – ٣ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١١٠١
تمهيد	١١٠٦
المبحث الأول : الوسطية في الإسلام	١١١٤
المبحث الثاني: جذور الغلو في الدين	١١٣٤
المبحث الثالث: مظاهر الغلو وأسباب الغلو	١١٣٩
المبحث الرابع: ظاهرة التكفير	١١٤٧
الخاتمة	١١٥١
النتائج والتوصيات	١١٥٢
فهرس المصادر والمراجع	١١٥٥
فهرس الموضوعات	١١٥٩

***